

العنف

Violence

أ.زروخي الدراجي¹

جامعة محمد بوضياف-المسيلة، drradji.zerroukhi@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2025/07/01

تاريخ القبول: 2025/06/26

تاريخ الاستلام: 2025/05/25

ملخص:

تعتبر ظاهرة العنف من بين أهم القضايا التي شغلت الفكر الإنساني باعتباره يمثل جزءا دائما من معاناة الإنسان، فقد عرف تاريخ البشر سلسلة من أعمال العنف بشتى أنواعه، ويمكن مشاهدتها من خلال الآثار التي يخلّفها في العالم، كونه سلوكا انحرافيا وظاهرة اجتماعية معقدة مثيرة للقلق، فقد تحول إلى أسلوب أو نمط في الحياة، ووجدنا أنفسنا مدمجين في عالم العنف فيه أصبح منهجا في الحياة، وهذا ما أدى إلى إعادة النظر في الخطاب الفلسفي، ودفع بالكثير من الفلاسفة إلى البحث عن أسباب العنف ودوافعه، والتنقيب والكشف عن الفلسفات التي ساهمت بشكل كبير في ترسيخه والدعوة إليه، في محاولة لتأسيس خطاب فلسفي يقضي على العنف ويساهم في تعويضه بالجدل والحوار

الكلمات المفتاحية: العنف، الفلسفة، الجدل، الحوار

Abstract:

The phenomenon of violence is considered one of the most important issues that has occupied human thought, as it represents a constant part of human suffering. The history of mankind has witnessed a series of acts of violence in various forms, which can be observed through the repercussions it leaves in the world. It is seen as a deviant behavior and a complex social phenomenon that raises concern. It has transformed into a style or pattern of life, and we have found ourselves integrated into a world where violence has become a methodology for living. This

has led to a re-examination of philosophical discourse and pushed many philosophers to explore the causes and motives behind violence, to investigate and uncover the philosophies that have significantly contributed to its establishment and advocacy. This is an attempt to establish a philosophical discourse that eliminates violence and replaces it with debate and dialogue. Prominent among these is the philosophy of power, which has made it a slogan to achieve its goals, and this is what we will attempt to delve into further through this research.

Keywords: violence, philosophy, controversy, dialogue

1- المؤلف المرسل: أ. زروخي الدراجي

1. مقدمة:

تعتبر ظاهرة العنف من بين أهم القضايا التي شغلت الفكر الإنساني باعتباره يمثل جزءاً دائماً من معاناة الإنسان، فقد عرف تاريخ البشر سلسلة من أعمال العنف بشتى أنواعه، ويمكن مشاهدتها من خلال الآثار التي يخلّفها في العالم، كونه سلوكاً انحرافياً وظاهرة اجتماعية معقدة مثيرة للقلق، فقد تحول إلى أسلوب أو نمط في الحياة، ووجدنا أنفسنا مدمجين في عالم العنف وأصبح العنف منهجاً في الحياة، وهذا ما أدى إلى إعادة النظر في الخطاب الفلسفي، ودفع بالكثير من الفلاسفة إلى البحث عن أسباب العنف ودوافعه، والتنقيب والكشف عن الفلسفات التي ساهمت بشكل كبير في ترسيخه والدعوة إليه، في محاولة لتأسيس خطاب فلسفي يقضي على العنف ويساهم في تعويضه بالجدل والحوار، فكيف يتأتى لنا ذلك؟

2. تعريف العنف

للعنف عدة معاني ولا يمكن الإحاطة به لأنه يطرح نفسه كمفهوم متعدد الدلالات ومفهومه يختلف باختلاف الحقول المعرفية وبتباين المنطلقات النظرية التي تتناوله كموضوع لدراستها، لذلك ارتئينا أن نقوم بعرض أهم التعريفات المطروحة في هذا المجال.

1.1. المعنى اللغوي

جاء في لسان العرب أن "العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق، عنف به وعليه، يعنف عنفاً وعنافة، وأعنفه، وعنفته تعنيفاً وهو عنيف، إذ لم يكن رفيقاً في أمره واعتنف الأمر: أخذه بعنف" (ابن منظور: د ت، ص 3132)، ومعنى هذا أن العنف يتخذ عدة معاني فهو يمثل أحياناً الخرق بالأمر، ومرة أخرى هو ضد الرفق، وبالتالي فإنه أخذ طابع الشدة والقسوة، وهو

سلوك غير مرغوب فيه، وورد في القاموس الجديد للطلاب لفظ العنف على النحو الآتي: "أعنف، يعنف، أعنف إعناف الشيء: أخذه بشدة عنف يعنف، أعنف، عنفا، وعنافة به وعليه، أخذ بقسوة ولم يرفق به"، ونلاحظ هنا أن العنف يتخذ طابع سلبي ما دام يلجأ إلى الاعتداء على الآخر وسلب ما يمتلكه الطرف الآخر بالقسوة دون رضى، وبما أنه لم يرفق به فهو منافي للسلم، وكلمة العنف **Violence** مشتقة من الكلمة اللاتينية **Vilou** التي تعني ينتهك أو يؤذي أو يغتصب فالعنف انتهاك أو أذى يلحق بالأشخاص والأشياء. (علي بن هادية، 1991، ص75)، والمقصود من هذا أن العنف هو عبارة عن سلوك يؤدي إلى الإيذاء والتعدي على الطرف الآخر، وذلك باستعمال القوة أو اللجوء إلى التهديد والإكراء المادي، كما أنه يعني إلحاق الأذى والضرر، وهو هنا لا يقتصر فقط على الأشخاص بل يشمل حتى الأشياء، كالعنف الذي يمارس على الطبيعة مثل اتلاف الغايات وحرقها.

وكذلك نجد لفظة العنف بمعنى "الشدة والقسوة عند التعامل، عنف أعنف هو الشدة والقسوة ضد الرفق". (عبد الحميد السيد أحمد منصور وذكريا أحمد الشريفي، 2003، ص 220)، ونلاحظ أن هذا التعريف يتشابه مع ما قاله ابن منظور، حيث اتخذ العنف طابع الشدة والخشونة في التعامل وذلك بالاعتماد على أساليب مؤذية للطرف الآخر، وقد يكون هذا التعامل في طابعه اللفظي وذلك من خلال استخدام ألفاظ جارحة كالشتيم أو في طابعه الجسدي كالضرب باعتباره ضرر يلحق بالبدن، وعليه يمكن القول أن العنف في تعريفه اللغوي يتخذ طابعاً سلبياً غير مرغوب فيه لاعتماده على القوة والقسوة، ولذلك اعتبر ظاهرة مرفوضة في المجتمعات، لكن يبقى دائماً الجانب اللغوي يركز على ما هو ظاهري للمفاهيم، وهذا ما يستدعي البحث عن معناه الاصطلاحي للفهم والتعمق أكثر.

2.2. المعنى الاصطلاحي

إذا كان التعريف اللغوي قد ركز على الجانب الظاهري للمصطلح فإن الناحية الاصطلاحية سوف تعمق فيه أكثر، لأنه يعد من أهم المفاهيم التي شدد انتباه الفلاسفة فتعددت الآراء حول تحديد هذا المصطلح، بسبب اختلاف وجهات النظر فنجد جميل صليبا يعرفه في معجمه الفلسفي بقوله "العنف مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة والعنيف هو المتصف بالعنف والعنف عموماً هو استخدام القوة استخداماً غير مشروع" (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، 1982، ص

ومعنى هذا حسب جميل صليبا أن العنف هو فعل أو سلوك يتصف باستخدام القوة والشدة في الاعتداء على الآخر، وقد يسبب له أضرار لأنه يتسم بالعدوانية، ويعتمد على القوة من أجل تحقيق أهداف معينة لم تنجح المساعي السلمية في بلوغها، واعتبر أن العنيف هو شخص عدواني، لأنه يتجه ويسير مخالفا تماما للسلم والرفق وإنما هو متمرد لاستخدامه العنف غير المصرح، وهو بذلك يخالف القانون ويخرج عن تشريعاته، أما أندري لالاند فهو يعرف العنف على أنه " الاستعمال الغير مشروع أو على الأقل غير قانوني للقوة " (اندري لالاند، 2001، ص 1555)، فنظر إليه على أنه نوع من أنواع القوة لانتزاع حق أو اقراره، وهو بذلك يتفق مع جميل صليب في عدم شرعية العنف، لأنه سلوك يسبب أذى فتم رفضه من قبل القانون، وفي هذا الصدد نجد معجم العلوم الاجتماعية يعرفه على أنه "استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما". (أحمد زكي بدوي، دت، ص 112)

وهذا يعني أن السلوك العنيف ما هو إلا صورة من صور الضغط التي تمارس ضد الآخر باستعمال القوة غير المشروعة، وهذا الفعل يؤدي به إلى العقاب لأنه اخترق للقوانين الأعراف المتعارف عليها، وفي هذا الصدد نجد محمد جواد رضا يؤكد على عدم شرعية العنف بقوله "العنف هو الاستعمال الغير القانوني لوسائل القصر المادي والبدني وابتغاء تحقيق رغبة شخصية أو جماعية، (محمد جواد رضا، 1974، ص 147)

ونلاحظ هنا أن العنف قد اتخذ طابعا ماديا، وذلك من خلال استخدام القوة الذي لم يسمح بها القانون على جسد الإنسان وإلحاق الضرر به بوسائل عنيفة، وهنا تظهر الخشونة في التعامل ويترك العنف آثارا واضحة مثل إحداث كسور وقد يؤدي ذلك إلى إحداث إعاقة جسدية، ونفس الأمر ينطبق مع باقي الأمور المادية كالتخريب وحرق الأشجار، فكل هذه الأعمال العنيفة تستخدم من أجل تحقيق غايات وأهداف شخصية، وقد تتعدى إلى الجانب الاجتماعي

وما يمكن أن نقوله هو أن السلوك العنيف هو سلوك مدمر وعدواني يعتمد على القوة الجسدية والتخريب المادي، إذن هو فعل يتضمن إيذاء الآخرين بالضرب وإتلاف الممتلكات العامة أو الخاصة كما يعني أنه الظلم والاضطهاد الموجه من شخص إلى آخر باستخدام القسوة، واستخدام القوة في فرض الرأي وعدم احترام المخالف.

يعرف أحمد خليل العنف في كتابه المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع "إيذاء باليد أو اللسان أو بالفعل أو بكلمة ما في الحقل التصادمي مع الآخر" (خليل أحمد خليل، ، 1984، ص 101)

ونفهم من ذلك أن أحمد خليل يميز لنا بين من نوعين من العنف، وهما العنف المادي أو الجسدي والعنف اللفظي المعنوي، ويتم العنف على المستوى الجسدي من خلال ممارسة القوة عليه بأساليب عدوانية تلحق الضرر به، وقد تصل إلى القتل، أما العنف اللفظي فيتم من خلال قول كلمات جارحة تؤثر في مشاعر الآخر، كالشتم والتي قد تؤدي إلى انطواء وعزلة الشخص الذي تعرض للعنف اللفظي وتحدث له أزمة نفسية، وهذا ما نجده منتشرا بكثرة في عصرنا الراهن خاصة في المجالات التعليمية، ودليل ذلك أن التلميذ عندما يتعرض أو يتلقى ألفاظ جارحة من طرف معلمه فإن ذلك يؤثر عليه سلبا، وتكون نتائجه وخيمة فيلجأ المتعلم أو التلميذ إلى الانفراد بذاته، وقد يسبب له هذا عقدة نفسية، ونجد تعريفا آخر للعنف يؤكد ما قاله أحمد خليل والمتمثل في أن العنف هو "سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتفريغ وعلى هذا الأساس فإن العنف قد يكون سلوكا فعلي أو قولي" (حسين توفيق إبراهيم، 1990، ص 4)، بمعنى أن العنف يتخذ طابعا سلبيا قاسيا وارغاما يكون بشكليين عن طريق الممارسة الفعلية أو القول اللفظي.

والعنف مرتبط بالقوة وطبيعته غير مشروعة، بمعنى أن القانون لم يسمح به واللجوء إليه، واعتماده يعتبر جريمة تخضع للعقاب، لأنه يخالف ما تتفق عليه التشريعات القانونية ومثال ذلك أن التعدي على الشرطي أو ممارسة العنف معه يستلزم عقاب، لأنه يعتبر تمرد على القانون، لكن هل هذا يعني أن العنف دائما يعتبر سلوك غير قانوني؟

إذا نظرنا إلى التعريفات السابقة فمعظمها تتفق بأن استخدام العنف أمر غير قانوني، ولكن هذا لا يعني أن العنف غير مشروع بصفو مطلقة، فهناك من الفلاسفة والمفكرين من اعتبروه طريقة مشروعة في بعض الاحوال رغم استعماله للقوة، وفي هذا الصدد نجد محمد يعقوبي في معجمه يعرفه على أنه "استعمال القوة لاسترداد حق مهضوم ... يستمد مشروعيته من غايته مثل العنف الثوري" (محمود يعقوبي، د ت، ص 116)، وما نستنتجه من هذا التعريف أن محمود يعقوبي رأى أن العنف يتخذ شكليين يكون غير مشروع حينما نستخدمه لتحقيق أهدافنا الخاصة والإساءة إلى الآخر لكن من جهة أخرى فإن هناك أشكال كثيرة تبرر مشروعية العنف كاستخدام القوة العنيفة من اجل استرجاع حق تم اخذه منك او الدفاع عن الوطن باسم الثورة، فبالرغم من استخدامها شتى وسائل القوة إلا أنها حسب محمود يعقوبي مقبولة من طرف القانون لأنها تهدف إلى استرجاع حق أو انقلاب على نظام ظالم، وعليه فإن مشروعية العنف تستمد من هدفه وليس من ذاته، وهذا ما أكده باربار ويتمر حينما قسمت العنف إلى نوعين سلوك شرعي وسلوك غير

شرعي حيث يقول "يشير تقسيم العنف إلى سلوك شرعي وسلوك غير شرعي إلى التعارض بين الحق الاجتماعي الذي يقره القانون والمكانة والعادة والقبول الاجتماعي وبين التبرير الأخلاقي الذي يقره الأحكام إلى التعاليم الدينية والمبادئ والحجج الأخلاقية". (باربار ويطمر، 2000، ص 75)

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج أن العنف هو سلوك ذا طبيعة قاسية يقوم على استعمال القوة لإيذاء الطرف الثاني وقهره، وقد يكون هذا السلوك لغويا معنويا كالشتيم أو جسديا ماديا كالتعذيب ويقسم إلى نوعين عنف مشروع، وهو مبرر وجائز ويستخدم لاسترجاع حق لا سبيل لاسترجاعه سوى القوة، وعنف غير مشروع وهو المرفوض من طرف القانون لأنه يخالف ما نص عليه.

3. أشكال العنف

يعتبر العنف من الظواهر التي لازمت المجتمع منذ القديم، فقد عرف التاريخ البشري مجموعة من الأعمال العنيفة التي جعلت منه ظاهرة مركبة، ويتخذ عدة أشكال منها:

1.3. العدوان:

العدوان هو نمط من السلوك ينطوي على كراهية الآخر والرغبة في إيذائه والإساءة إليه، لذلك يعتبر من بين المفاهيم المتداخلة مع مفهوم العنف لاشتراكهما في العديد من الدلالات مما جعل صعوبة الفصل بينهما قائما، وهو ما استدعي ضرورة تحديد مصطلح العدوان حيث عرفه بدوي في قوله "السلوك العدواني يرمز إلى إيذاء الذات أو الغير أو ما يحل محلها من الرموز ويعد السلوك العدواني تعويضا عن الحرمان الذي يشعر به الشخص المتعدي" (بدوي أحمد زكي، 1993، ص 98)

ومعنى هذا أن العدوان ما هو إلا فعل يهدف إلى إلحاق الألم والأذى سواء كان بالنسبة للذات أو الغير، أي أن الشخص العدواني قد يصبح عدوا لنفسه، ويؤذي ذاته، كما يؤذي الطرف الآخر، ويرجع الدافع إلى القيام بذلك إلى النقص والحرمان الذي عاشه الشخص المتعدي، فيعوضه بفعل عدواني، وهذا ما عبر عنه عيسوي عبد الرحمن حينما عرف العدوان أنه سلوك عدواني ناتج كإحباط يستخدم معه القوة مع الإنسان أو تدمير ممتلكاته "فربطه بالإحباط الناتج عن عدم تحقيق رغبات معينة للشخص المعتدي في استخدام أساليب عنيفة كالتخريب والتدمير والإساءة، وعليه فالعدوان هنا سلوك عنيف يهدف إلى إحداث نتائج تخريرية أو مكروهة إلى السيطرة من خلال القوة بنوعها الجسدي واللفظي.

وجاء أيضا في تعريف العدوان أنه "سلوك مشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه فهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن" بمعنى أن العدوانية رمز للتخلف باعتباره سلوك همجي لا يتصف بصفات الحضارة والتطور نظرا لطبيعته القاسية أما المحلل النفسي سيغموند فرويد فيعتبر العنف والعدوان أمرا واحداً، وهذا يتجلى في قوله "أن الإنسان مزود طبيعياً بالميل نحو العنف والذي يعود أساساً إلى نزعته العدوانية لبني جنسه من حيث هو ميل فطري" (سيغموند فرويد، 1977، ص 401) بمعنى أن الإنسان يولد بفطرته لكي يمارس العنف من أجل تلبية حاجيته، ورغباته وأهواءه، لأن هذا شيء غريزي فيه، فيلجأ إلى تحقيق غايته بممارسة أساليب عدوانية ومنه أصبح هنا العنف سلوك عدواني بين طرفين متصارعين بهدف تحقيق مكاسب"، ولقد أكد سيغموند فرويد في كتابه قلق في الحضارة على الطبيعة العدوانية للإنسان.

ويرى فرويد أن قيام الإنسان بالعدوان راجع لغريزتين الأولى غريزة الحياة هدفها الاستمرار في الحياة والثانية غريزة الموت وهذه الأخيرة تهدف إلى العدوان والعنف، وكل من الغريزتين يتدخلان في توجيه سلوك الفرد، وما يمكن استنتاجه من النظرة الفرويدية للعدوان أنه جعل منه عبارة عن سلوكات عنيفة، وأعطى لها الشرعية في ذلك باعتبارها غريزة جبل عليها الإنسان، وكل التعاريف السابقة توحى على أن العنف والعدوان مترادفات، فهل هذا يعني أن العنف هو عدوان؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نجد قدرتي حنفي الذي ميز بين السلوك العنيف والعدوان ورأى أن هناك اختلاف بينهما في قوله "العنف سلوك ظاهر يستهدف إلحاق التدمير بالأشخاص والممتلكات، والعدوانية لكي تكون عنفا ينبغي أن يتوفر لها شرط الظهور، فثمة أنواع عديدة من العدوان تتميز بالخفاء... ما يقبض به الأحلام" (قدرتي حنفي، 1995، ص 42)

ومعنى هذا أن الفرق بين العنف والعدوان ارتبط بعامل الظهور باعتبار أن العنف هو سلوك ظاهري غايته إلحاق الأذى والتدمير في حين أن العدوانية تتخذ طابع الهدوء مثل الحسد فهو صفة عدوانية اتجه الآخر، لكنها ليست ظاهرة، وعليه فإن قدرتي حنفي استطاع أن يبرز لنا التمايز الموجود بين العنف والعدوان.

وفي هذا السياق نجد مارموز الذي هو الآخر يوضح لنا الاختلاف بين العدوان والعنف وهذا ما يتجلى في قوله "العنف هو صورة خاصة من صور القوة يحتوي على مكتسبات أو مجهودات يسعى إلى التدمير والإيذاء... بينما العدوان مفهوم أوسع وأشمل يحتوي على سلوك عدواني وليس بالضرورة أن يكون كل سلوك عدواني هو سلوك عنيف"، وهنا يبرز التباين بين

المصطلحين باعتبار أن العدوان أوسع وأشمل من العنف وهذا الأخير قائم على التدمير والتخريب، له طابع مادي خالص في حين العدوان يشمل على المظاهر المادية والمعنوية معا وبهذا المعنى يصبح العنف جزء من العدوان وشكل من أشكاله إضافة إلى ذلك فنجد أن العنف مؤقت يرتبط بأسباب معينة ويزول بزوال تلك الأسباب في حين أن العدوان يتميز بالديمومة" (حسن فايد، 2004، ص 210). وهذا دليل على أن ليس كل عدوان عنف، ولكن كل عنف يعد عدوانا.

2.3. الصراع:

الصراع هو عملية ضرورية لفهم العلاقات الاجتماعية، ويعتبر كفاحا حول القيم لذلك نفسر العنف في بعض الأحيان على أنه صراع، وهذا ما دفع بالكثير إلى الخلط بينهما، فهناك من اعتبر الصراع على أنه عملية اجتماعية ضرورية لفهم العلاقات الاجتماعية، ويقبل نضالا وكفاحا حول القيم والمكانات ومصادر القوة، وأن الصراع يتخذ طابعا اجتماعيا فهو جزء من الحياة وعاملا في فهم العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع، ويستخدم للدفاع عن القيم والعادات والتقاليد، وقد يتحول الصراع إلى أسلوب عنيف إذا تطلب الأمر ذلك، لأنه عبارة عن كفاح، وهذا الأخير يستدعي العنف والقوة من أجل الحفاظ والتمسك بقيم معينة في مجتمع ما، وفي هذا الصدد نجد تعريفا آخر يربط الصراع بالمجتمع وهو لعبد الرحمان بن خلدون حيث قوله "ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض" (ابن خلدون عبد الرحمن، ، 1978، ص 191)، ويقصد ابن خلدون بالتنازع الصراع، الذي أصبح أمرا عاديا في المجتمع نتيجة كثرة الأهواء والرغبات والأنانية من أجل تحقيق أغراض خاصة، أما بالنسبة إلى كارل ماركس فقد اعتبر الصراع شكل أساسي للعنف، وهذا ما أطلق عنه بالصراع الطبقي والمتمثل في الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج والطبقة الكادحة الغير المالكة.

وعليه فإنه حسب رؤية كارل ماركس أن الطبقة العاملة عندما تعي ذاتها فإنها تقوم بصراع مع الطبقة المالكة، وباستخدام أساليب عنيفة لاسترداد حقوقها المهضومة، وكأنه جعل من الصراع عنف، لكن هل لا يعني دائما أن الصراع يتخذ طبيعة عنيفة، والواقع يثبت ذلك فالكثير من الصراعات لا تستخدم العنف، ودليل ذلك الصراعات الثقافية والإيديولوجية هو صراع في عالم الأفكار ولا يستعمل العنف والقوة طبعا ليس بصفة مطلقة و لكن في الغالب، ولعل ما أراد تأكيده شارت سيمور سميث الذي عرف الصراع على أنه "مصطلح عام يشمل ظواهر يمكن أن تندرج في ميادين مختلفة لهذا نجد الانثروبولوجيا قانونية والسياسية ودراسة التغير الاجتماعي والثقافي" (شارت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان، 1948، ص 527)، وهذا يعني أن الصراع مفهوم

أشمل من العنف، فهو يضم العديد من المجالات التي لا تحتوي على أساليب عنيفة بالضرورة كالصراع الثقافي مثلاً أو الصراع بين العلم والجهل.

وفي الأخير نستنتج أنه رغم تشابك مفهوم الصراع والعنف وتداخلها إلا أنه لا يمكن اعتبار كل صراع عنف، وهذا ما تؤكدته إحدى التعريفات التي جاءت للفصل في هذا المجال وهو أن العنف هو عنصر رئيسي في عملية الصراع، ولكنه ليس صراع في حد ذاته.

3.3. الثورة:

ينظر إلى الثورة على أنها شكل من أشكال العنف وإحدى صوره، كونه يمثل وسيلة وأسلوب لقيامها، وجاء في المعجم الفلسفي لإبراهيم مذكور أن الثورة هي "نقطة تحول في حياة المجتمع لقلب النظام وإحلال نظام تقدمي جديد محله"، أما جميل صليبا فيعرفها على أنها "تغير جوهري في أوضاع المجتمع، هدفها تغيير النظام السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي" (جميل صليبا، 1982، ص 380)، ونستخلص من التعريفين أن الثورة هي عملية انتقالية أو تغييرية من حالة إلى حالة أفضل منها أو انقلاب على الحكم من أجل تأسيس نظام أفضل منه لتوفير حياة يسودها الأمن والاستقرار، وغالبا ما تكون هذه العملية الثورية بأساليب عنيفة لتحقيق غايتها، وهنا تكمن العلاقة بين الثورة والعنف، ولعل هذا ما يدفعنا إلى الحديث عن الثورة التي نادى بها كارل ماركس وصديقه انجلز حيث تقوم بها طبقة البروليتاريا ضد الطبقة البرجوازية من أجل إسقاط ذلك النظام المهيمن والمسيطر، وهذا يعني أن كارل ماركس قد دعا إلى الثورة باعتبارها حتمية يجب القيام بها، وهي التي تؤدي إلى تحقيق التطور والنمو من خلال قضاء على نظام فاسد وإقامة نظام يحقق الرفاهية والازدهار وقضاء على الاستبداد، أما كرين برينتون فيعرف الثورة في كتابه "تشريع الثورة" ويرى "أنها عملية حركية ديناميكية تتميز بالانتقال من بنية اجتماعي إلى بنية اجتماعي آخر" (كرين برينتون، 2009، ص 31)، وربما هذا ما يتفق مع ما جاء في الموسوعة العربية التي رأت أن الثورة "تغير جوهري في الأوضاع السياسية والاجتماعية في الدولة معينة.."

وما يمكن ملاحظته من خلال التعاريف السابقة إنها تتفق جميعا على أن الثورة عبارة عن قلب نظام الحكم وتغييره والقيام بنظام جديد سواء في مجال سياسي أو اقتصادي والاجتماعي ولعل هذا ما جعلها تتشابك مع العنف لأن قيام أي ثورة من أجل إحداث نقلة جذرية يتطلب أساليب عنيفة، ومثال ذلك الثورة الإنجليزية التي قضت واثرت على فكرة حق الملوك الإلهي، وجعلت من البرلمان صاحب الكلمة العليا، لكن هذا لا يعني أن كل ثورة هي عنف فهناك الثورات

السلمية الهادئة، مثل الثورات العلمية وهذا ما جاء في موسوعة دائرة المعارف على أن الثورة هي "هي كل تغيير ذريع يحدث في الأنظمة السياسية لأمة من الأمم وعلى هذا التعريف فمن الثورات ما حدث ببطء وسلام وتحت تأثير التقدم العلمي والخلقي، ومنها ما حدث فجأة عقب اضطرابات وسفك دماء" (محمد فريد وجدي: دائرة المعارف، دت، ص 776)

فالمقصود بالثورات التقدم هي تلك التطورات التي يحدثها العلم أما الثورات التي تأتي نتيجة اضطرابات فهي التي تأتي عن طريق القتال والعنف، وهنا يتضح الاختلاف بين الثورة والعنف الذي هو ضد الرفق إضافة إلى ذلك فالثورة تعتبر عمل قانوني ومشروع على غرار العنف الذي يعاقب عليه القانون، فالثورة قد تكون علاجاً لخطأ الدولة التي ابتعدت عن العدل، والثورة حينئذ يكون لها دعامة قانونية.

4.3. الإرهاب:

الإرهاب هو نوع من الاستبداد وعادة ما يكون كردة فعل على الأنظمة السياسية، لذلك يعتبر إحدى المفاهيم المتداخلة مع العنف باعتباره عنف منظم بمختلف أشكاله وموجه إلى مجتمع ما، وبالتالي فهو لا يخلو من عنصر العنف، وهذا ما دفع بالكثير من الفلاسفة إلى الخلط بينهما وعلى رأسهم كارل ماركس الذي نظر إلى الإرهاب على أنه عنف ثوري مشروع من أجل القضاء على السلطات التي تتمتع بنفوذ، وهذا ما يتوافق مع منظور ترويسكي الذي رأى أن الإرهاب عنف إيجابي في العصور الثورية لأنه موجهة ضد فئات قوية حاكمة تحتكر السلطة بكافة عناصرها ومقوماتها، فنلاحظ أن الإرهاب أمر مشروع باعتبار أن السلطات المهيمنة والمسيطرة والحاكمة لا يمكن القضاء عليها إلا من خلال ممارسة العنف الإرهابي وعرف بالعنف الإيجابي باعتباره يهدف إلى غايات إيجابية أما نعومي تشومسكي فلقد عرفه على أنه "كل محاولة لإخضاع أو قسر السكان المدنيين أو حكومة ما عن طريق الاغتيال أو أعمال العنف يهدف إلى تحقيق أعمال سياسية سواء كان الإرهاب فردي أو يقوم به جماعة" (عبدالحسين شعبان، 2017، ص 15)

وهنا يتخذ الإرهاب طابعه السلبي وذلك من خلال اغتيال المدنيين والأبرياء وممارسة العنف عليهم، والإرهاب يستخدم العنف غير القانوني كالاغتيال والتخريب والتعذيب والتشويه بغية تحقيق هدف سياسي معين وهو ما نراه من اليهود المحتلين في فلسطين الآن، وهو بهذا المعنى عمل بريري شنيع تتبعه الجهات المتطرفة كوسيلة لإلحاق العنف بالآخرين وسلب نعمة الأمن منهم وجعلهم يعيشون في توتر، وعليه فإن أغلب التعريفات السابقة ركزت على أن الإرهاب عنف، لكن

هذا لا يعني أنهم متماثلان بل توجد اختلافات بين المفهومين إذ نجد التباين واضح، فالأعمال الإرهابية هي عمليات منظمة يتم التخطيط لها لضمان نجاحها في حين أن العنف يكون عشوائي عبارة عن ردة فعل إثر مسبب لذلك، والإرهاب عمل منظم يقصد إلى خلق حالة من التهديد العام الموجه إلى دولة أو جماعة بهدف تحقيق سيطرة على جماعة أو مجتمع معين، وخير ممثل له الكيان الصهيوني.

4. اللغة والعنف:

يشكل التعارض بين الفلسفة والعنف موضوعا هاما، كما أنه يعتبر محك نجاح الخطاب الفلسفي أو فشله، لأن العنف يدل على استخدام القوة لفرض الرأي، ولا يمكن أن نمر إلى القوة في فرض رأينا على الآخر إلا إذا عجز فينا الخطاب الفلسفي، فنجاح الخطاب الفلسفي ينهي وجود العنف، ووجود العنف يدل على موت الخطاب الفلسفي، وسنحاول متابعة هذه المواجهة بين الفلسفة والعنف.

إذا كان العنف هو مشكلة الفلسفة فإن المواجهة بين العنف واللغة هي مسألة فلسفية يتوقف على فهمها وحلها مستقبل الفلسفة ذاته، والجال أن هذه المسألة بدورها تغطي مجموعة من الأسئلة التي يمكن أن نطرحها بصدد الإنسان، فالمواجهة بين العنف واللغة تشمل مجالا واسعا، بحيث لا يمكن اختزالها فقط في الطبيعة الخارجية التي نصارع ضدها أو الطبيعة الموجودة في أنفسنا، والتي غالبا ما تجرنا نحو الحقد والكراهية، بل إن ما يعطي لمشكلة العنف الوحدة، ليس كون تعبيراته الكثيرة مشتقة من هذا الشكل أو ذاك باعتباره شكلا أساسيا بل إن ما يوحد " امبراطورية العنف"، كما يصفها بول ريكور هو أن لديها اللغة المتبادلة بين مختلف الأطراف، ويمثل العنف مشكلا فقط بالنسبة لكائن يتكلم، ويتابع في كلامه المعنى، أي الكائن الذي خطأ خطوة داخل المناقشة والحوار ويعرف شيئا ما عن العقلانية، فبالنسبة لهذا الكائن يصبح العنف مشكلة، وبذلك يكون للعنف معنى في غيره : اللغة. والعكس صحيح، فالكلام والمناقشة العقلانية تستمد وحدة المعنى من كونها تعمل على اختزال العنف وتقليصه، وذلك لأن " العنف الذي يتكلم هو عنف يبحث عن المعقولية. إنه عنف دخل مدار العقل وبدأ في إنكار

نفسه كعنف" (Paul Ricœur, 1991. p 1321)

ويذهب اريك فاي في تحليله لمشكلة العلاقة بين العنف واللغة إلى "إن اللغة هي التي تظهر العنف" (Eric weil, 1987. P23) بمعنى أن أسلوبنا ومنهجنا اللغوي هو الذي ينهي العنف أو يثيره، لذا اعتبر البنيويون الظاهرة الاجتماعية ظاهرة لغوية، فاللغة هي التي تحدد المعاني التي نحياها

داخلنا كما تحدد علاقتنا العاطفية مع الآخر، فليس هناك حيوان يجد من العشب أن يموت جوعاً. إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي ينظر إلى الموت جوعاً كحدث بلا معنى وكعشب، إنه الوحيد الذي يقول لا لما ليس له معنى.

إن التعارض بين العنف واللغة يعبر عن مشكلات عديدة هي التعارض بين العنف والحق والعنف والعدالة وغيرها، ويمهد لانهيار الإنسان كونه كائن عاقل يحاجج ويجادل، ومن المؤكد أنه يمكن للإنسان أن يفكر في مواقف متطرفة إذا أراد الاختيار، حيث تتاح أمامه إمكانيات العنف ويقع التخلي عن كل أشكال التواصل ويمنع أي ارتباط بالآخرين. لكن هذه المواقف كلها تنعدم فيها الفلسفة وبالتالي تنعدم معها اللغة.

لقد واجه الإنسان مشكلة العنف منذ بداية التاريخ الذي هو تاريخ الوعي بمحاولة إعطاء معنى لحياته، وبتنظيم نفسه لمواجهة العنف الطبيعية الخارجية، وخلق عوالم إنسانية صالحة للعيش، كما وضع قواعد لحياته. ونظم الإنسان إذن نفسه في جماعة وفقاً لقوانين وقواعد، وبذلك واجه عنفه الداخلي، إن الشقاء لم يعد مجرد عشب والسعادة ليست محض صدفة كلاهما يكون مستحقاً (زروخي الدراجي، 2019، ص230)

إن العنف والعشب لا مكان لهما داخل الجماعة، وإذا ما ظهر العنف من وقت لآخر فإن مصدره يعتبر خارجياً، أي كعنف ضد الجماعة، والشخص العنيف ينظر إليه كغريب عن الجماعة، ولا ينتمي إلى نظامها. وهنا تظهر اللغة كتثبيت لذلك النظام، فتعلن أن هناك مجانين غير عقلاء أو متطرفين، وأن مصدر العنف ليس الجماعة، بل أفراد غير عاديين، كائنات غير بشرية ومضادة للطبيعة، إنهم مسوخ وبالتالي ينبغي علاجهم.

لقد اعتبر العنف دائماً إخلالاً بتوازن الجماعة وتصدها يأتي من الخارج، واهتزازاً في مكانة العقل، وأن مواجهته تقتضي وجود "عنف مشروع". أو "عنف مقدس". إن صح التعبير وهو عنف يقتضي استخدام القوة لبسط الحق، وإعادة الإنسان إلى جادة الصواب بعد أن فشلت كل وسائل الإقناع الفلسفية، فالصراع بين الجماعات يتم تبريره باللغة، باعتبار الصراع ضد الجماعات الأخرى، يدخل ضمن الصراع ضد الطبيعة الخارجية. إن أولئك الذين لا ينتمون إلى الجماعة ولا يعيشون داخل نفس العالم ليسوا بشراً، بل هم جزء من الطبيعة الخارجية التي يناضل ضدها بالعمل (زروخي الدراجي، 2019، ص231)

وفي الحقيقة لا يهتم المفكر الألماني إريك فاي بالتأريخ للعنف، لكنه يلمح لهذا التاريخ الطويل الذي هو تاريخ الغرب بوصفه تاريخاً للهيمنة، بدأ بتفكك البدهة الأساسية التي قام عليها الوجود الفعلي ثم بالاتصال الذي تم فرضه على المغلوبين مع إقحام طبيعة جديدة لا تأخذ

المعنى إلا عند من أصبحوا هم السادة، ثم بالشغل الذي هو مجرد تحويل لمواد مينة يستفيد منه فقط الذين لا يساهمون فيه، لكن المهم هنا في هذا التاريخ هو أن العنف سيظهر لأول مرة كعنف عار، له اسم. مفكر فيه ومكشوف لدى الجميع، لكن من قبل كان العنف يتوارى خلف ستار الكونية، فلم يكن يرى، أما الآن – بعد تفكك الجماعة – فقد صار مرئيا يتجلى عبر ملامح كثيرة: عنف السيد إزاء العبد، تمرد العبد على السيد، عنف العبد إزاء الطبيعة، عنف الطبيعة إزاء الجميع والعنف المتبادل بين السادة أنفسهم.

ويقدم فاي نموذج أفلاطون. باعتباره أحد الفلاسفة المدركين لهذا الواقع حين جعل الثروة وقفا على الفئات التي لا تمارس السياسة، لكن الدولة الأفلاطونية تبقى دولة طوباوية لا وجود لها، لأن السادة كانوا دائما مهيمنين على الثروات ومع ذلك فقد عبر أفلاطون – بفكرته عن الدولة – عن الارتباط بين امتلاك الثروة وضياح المعنى، بين الثروة والعنف، وبين العنف واللغة، لقد أصبحت لغة المجتمع هي لغة الفعالية، ولا ضرر في ذلك، مادام أن تلك اللغة هي التي أنشأت المفاهيم المنظمة للموضوعية وللواقعة التي يمكن التحقق منها، والحقيقة الصورية وهي التي جعلت العمل يستند على معرفة خالصة، معرفة منزهة عن الرغبة المباشرة للفرد. وهذه المعرفة تعد بداية لتأسيس الخطاب الفلسفي وانهيارا للغة العبودية والعنف.

5. خاتمة

يمكن القول في النهاية أن الخطاب المتماسك لا ينطقه أحد ولا يملكه أحد، وإذا كان هناك من يدعي امتلاكه، فهو الشخص العنيف الذي يخادع تحت غطاء التظاهر بالخطاب المتماسك. وكلمة " الخداع " تشير إلى عالم الأقوال الزائفة التي تجعل من اللغة فعل العنف. إن التعارض بين الخطاب والعنف الذي كان بمثابة منطلق. يقودنا إلى الإفصاح عن العبارة التالية " العنف يتكلم ". وهذا يعني أن ما يتكلم يقصد المعنى، لكن هذا لا يكشف لنا عما بين الخطاب والعنف من تشابك. إن اللسان بريء، اللسان أداة وشفرة. فهو لا يتكلم بل نتكلمه، وبالتالي فالمواجهة تنتقل من مواجهة بين الخطاب والعنف إلى مواجهة بين التعبير والمعنى.

إذن الاستبداد بالرأي واستخدام الحجج الوهمية وحرمان الآخر من إبداء وجهة نظره واتهامه هي إحدى مسببات انصراف البعض منا إلى العنف، أما السبب الثاني فهو في مضمون الخطاب الفلسفي في حد ذاته إذا كان غير مقنع وهش وغير متناسق، ولا يملك معنى أو أنه عاجز عن تبيان معناه أو بالأحرى لغته غير المتماسكة، وأما السبب الرئيسي فهو غياب الفلسفة في حد ذاتها، الفلسفة التي تكون أساسا لوعي الفرد وانطواءه في دائرة الكوني.

وبناء على ما سبق يمكن القول أيضا أن العقل له مكانة في حل المشكلات العقلية التي تنيرها الفلسفة تارة تلو الأخرى، ومن بين المشكلات الفلسفية مشكلة القصدية وكيف يمكن للعقل تفسير هذه المشكلة وإيجاد العقل المناسب لها، ومنها النزوع نحو تجديد الخطاب الفلسفي ليكون ذا معنى وفائدة، إن المواجهة بين الفلسفة والعنف مهددة دوما بإمكانية الاختيار اختيار العقل والمعنى أو اختيار العنف والعبث، والفلسفة تنتعش بكل تأكيد خلال الفترات التي هي غير فترات الصمت أو البؤس المطلق، ولكنها كذلك ليست فترات الاسترخاء الفكري والاطمئنان الاجتماعي والسياسي والأخلاقي، وعلى الفلسفة أن تكون يقظة دوما وإلا أفلت منها الفرد إلى العنف.

6. قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

- ابن منظور، (2010)، لسان العرب، مج 4، دار المعارف، مصر.
- بن هادية علي: (1991) القاموس الجديد للطلاب معجم العربي المدرسي العباني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- صليباً جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
- صليباً جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
- لالاند اندري، (2001)، موسوعة لالاند فلسفية، مج 1، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت.
- أحمد منصور عبد الحميد السيد وأحمد الشريني زكريا، (2003) سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان والإرهاب، دار الفكر العربي، بيروت.
- أحمد زكي بدوي: (2002) معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان، بيروت
- محمد جواد رضا، (1974)، ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، عالم الفكر، الكويت.
- خليل أحمد خليل، (1984)، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، بيروت.

- توفيق إبراهيم حسين، (1990)، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت.
- يعقوبي محمود، (د ت)، معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ويتمر باربار، (2000)، الأنماط الثقافية للعنف، تر ممدوح يونس عمران، المجلس الوطني لثقافة والفنون الكويت.
- أحمد زكي بدوي، (1993)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت،
- زروخي الدراجي، (2019)، فنيات الخطاب الفلسفي، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، الجزائر.
- فرويد سيغموند، (1977) قلق في الحضارة، تر جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت.
- حنفي قدر، (1995)، حول العنف السياسي، مركز البحوث ودراسات السياسية القاهرة.
- فايد حسن، (2004)، دراسات في السلوك والشخصية، دار طيبة للطبع والنشر والتوزيع.
- سميث شار ت سيمور، (1948)، موسوعة علم الإنسان، تر عليا شكري وآخرون المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- برينتون كرين، (2009)، تشريح الثورة، تر سمير الجلي، دار الفارابي، لبنان.
- وجدي محمد فريد، (د ت)، دائرة المعارف، القرن العشرين، مج 2، دار الفكر، بيروت.
- شعبان عبد الحسين، (2017) التطرف والإرهاب، مكتبة الاسكندرية، مصر.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- weil Eric. (1987) Violence et langage. in Chiers Eric weil. Textes réunis par Jean Quillien, Presses Universitaires de Lille .France
- Ricœur Paul, (1991) Lectures 1. autour du politique seuil, paris.